إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن

لعبد الحفيظ المدعو الكبير الفاسي الفهري

(1221-1295هـ / 1806-1878م)



تقديم وتحقيق

أحمد العراقي

إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن

لعبد الحفيظ المدعو الكبير الفاسي الفهري

(1221-1295هـ / 1806-1878م)

تقديم وتحقيق

أحمد العراقي

إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن

لعبد الحفيظ المدعو الكبير الفاسي الفهري

(1221-1295هـ / 1806-1878م)

تقديم وتحقيق : أحمد العراقي

- رقم الإيداع القانوني: **2013 MO 2020**
- ردمك: **978-9954-32-397-7**

- طبع وتصميم: مطبعة آنفو - برانت، 12، شارع القادسية - الليدو - فاس.

الهاتف: 05.35.64.17.26 / 06.61.20.16.41 / الفاكس: 05.35.65.72.47

- البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com

Site Web: http://infoprint.awardspace.com

إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تقديم

- المؤلّف :

عبد الحفيظ ، المدعو الكبير ، بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري ، أبو المواهب[1] ؛ كان فقيها علاّمة مؤرّخا رحّالة ، مدرّسا خطيبا .

ولد بفاس في سنة 1221هـ (=1806م) ، وتلقّى عن كبار شيوخ العلم بها في زمانه ، وفي مقدمتهم والده عبد الرحمن المجذوب

[1]- ترجمته في : الاغتباط ، لبوجندار : 372-373 ؛ ومجالس الانبساط ، لدنية : 60/1-61 ؛ وشجرة النور ، لمخلوف : 404-405 ؛ ومعجم طبقات المؤلفين ، لابن زيدان :193/2-194 ؛ والإعلام ، للمراكشي : 157/8-166 ؛ والأعلام ، للزركلي : 50/4 ؛ وإتحاف المطالع ، لابن سودة : 268/1 ؛ وموسوعة أعلام المغرب – مقدمة المحقق : 8/1-9 .

(تـــ.1260هـــ/1844م) وكان علاّمة مشاركا ؛ وقد أورد في إجازته لأحد تلاميذه ذكر بعضهم ممن يروي عنهم ، من بينهم : شيخ الجماعة العلاّمة عبد السلام بن الطيب الأزمي (تـــ.1241هـــ/1825م) والشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن (تـــ.1254هـــ/1838م) وشيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن الحجرتي السجلماسي (تـــ.1275هـــ/1858م) والعلاّمة علي بن إدريس قصارة الحميري (تـــ.1259هـــ/1843م) وابن عمّه محمد بن العربي (تـــ.1258هـــ /1842م) والقاضي محمد التهامي بن حمّادي المكناسي (تـــ.1249هـــ /1833م) وشيخ الطريقة محمد بن محمد الحرّاق (تـــ.1261هـــ/1845م) ، كما أخذ عن غيرهم ؛ وكان قد لقي الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري (تـــ.1263هـــ/1846م) عند وروده على فاس في غضون سنة 1260هـــ وأقبل عليه وأجازه عامة ما له ، ووقف على إجازته له بخطه صاحب "فهرس الفهارس"[1].

حجّ مرّة أولى سنة 1287هـــ (=1870م) ، وحجّ ثانية سنة 1294هـــ (=1877م) ؛ ولقي في حجّتيه عددا من أعيان علماء المشرق في ذلك العهد ، واستجازهم فاتّصلت أسانيده بهم مباشرة ؛ ومن بينهم :

---

[1]- فهرس الفهارس، للكتاني : 433/1 .

شيخ الشافعية بالديار المصرية وخطيب الأزهر بها إبراهيم بن علي السقا (تـ.1298هـ/1881م) ، والشيخ المحدّث عبد الغني الدهلوي (تـ.1296هـ/1878م) ، والشيخ الفقيه المؤرخ أحمد بن زيني دحلان (تـ.1304هـ/1886م) وغيرهم .

تصدّر لتدريس العلم ، وكانت له مشاركة في عدة فنون كالفقه والحديث والتصوف والتاريخ ، وتولّى خطة التوثيق ، كما تولّى الخطابة بالقرويين مدة طويلة تناهز خمسا وثلاثين سنة ، وذلك من وفاة والده سنة 1260هـ إلى حين وفاته . وكان متقنا لصناعة الوراقة ، وقد عدّه العلاّمة محمد المنوني من النسّاخين المكثرين الذين حقّقوا أرقاما مرتفعة[1]، وكان فيما يقول عنه حفيده قد "كتب بيده عدّة نسخ من الكتب الستة الشهيرة ، وبلغ من تعظيمه أنه ما كتب حديثا واحدا وهو على غير طهارة تامة"[2].

وكان له اهتمام بالتقييد والتصنيف ، وقد خلّف جملة من التآليف ، منها :

---

[1]- تاريخ الوراقة المغربية ، للمنوني : 350 .

[2]- المرجع السابق : 250 .

-"إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن" ، وهو موضوع هذا التقديم والتحقيق .

-"تذكرة المحسنين في وفيات الأعيان وحوادث السنين" ، رتّبه على السنين ، ابتدأه من السنة الأولى للهجرة إلى سنة 1267هـ ، "وإلى الوفيات اهتم بالأحداث وخصوصا الظواهر الجوية والأوبئة والمجاعات"[1] ؛ وتوجد منه عدة نسخ خطية ، وقد نشره الدكتور محمد حجي ضمن موادّ الأجزاء السبعة الأولى من "موسوعة أعلام المغرب" الصادرة عن دار الغرب الإسلامي ببيروت ، سنة 1996م .

-"عنوان القواعد والأسوس باختصار شرح العلامة سيدي محمد جسّوس على المقدمة الفقهية لسيدي عبد القادر الفاسي" ، ومنه نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط ، وأخرى بمؤسسة علال الفاسي بالرباط[2] ، وقد طبع الشرح دون اختصاره هذا على الحجر بفاس سنة 1315هـ[3] .

-"نتيجة الاعتصار من دسائس الانتصار" ، ردّ به على تأليف أحمد بناني البلح انتصارا لمحمد بن زكري "النور اللامع" ، فناقشه فيما وجده

---

[1]- المصادر العربية لتاريخ المغرب ، للمنوني : 104/2 .

[2]- كشاف الكتب المخطوطة ، لعمور : 315 ؛ والفهرس الموجز ، للحريشي : 137/3 .

[3]- المطبوعات الحجرية في المغرب ، لفوزي عبد الرزاق : 64 .

فيه مفضيا إلى تفضيل بني إسرائيل على العرب القحطانيين ، ومنه نسختان خطيتان غير تامتين بالمكتبة الوطنية بالرباط[1] .

وله إلى جانب ذلك مقامات وخطب وإجازات[2] ؛ كما له جملة أشعار تناقل نماذج منها بعض من ترجمه[3].

توفي في 27 رمضان سنة 1295هـ (=25 شتنبر 1878م) عائدا من الحج بالمحمدية قرب الدار البيضاء ، وحمل منها فدفن في شالّة ضواحي الرباط ، بقبّة سيدي يحيى بن يونس ، وكان قد عرّج على مراكش فأصيب بالطاعون في طريقه .

- إعراب الترجمان :

سبق لنا أن تعرّضنا فيما كتبناه تقديما بين يدي ديوان "إزالة البوس"لعبد السلام الزموري (تـ.1279هـ/1862م) لأحداث ثورة الأوداية بفاس زمان السلطان العلوي المولى عبد الرحمن بن هشام (1238-1276هـ /1823-1859م) عقب رجوع فلول منهم إليها من الجزائر ، وتحالفهم مع

---

[1]- المصادر العربية : 113/2 .
[2]- المصدر السابق : 110/2 ، 152 .
[3]- الإعلام ، للمراكشي :165-162/8 .

أهل العدوة بها ، وقيامهم جميعا على السلطان وبيعتهم لابن عمّه الأمير محمد بن الطيب . وأشرنا ثمّة إلى ما أدّى إليها ، وكيف اكتوى أهل فاس بنار فتنتها ، سواء الذين انخرطوا فيها وأدّوا ثمن انخراطهم بأنفسهم وأموالهم ، وكان الزموري صاحب ذلك الديوان من بينهم ، فقد هُجِّر من فاس وألقي به ضمن غيره بسجن مصباح بمراكش ، وفيه نظم أشعار ديوانه المذكور ؛ أم الذين لم ينخرطوا فيها وأُوذوا في أموالهم وأنفسهم كذلك من جرّائها . وكنّا قد لاحظنا أن الاهتمام بهذه الثورة كان كبيرا ، وأن الآراء حولها قد تباينت ، وذهب من تناولوها كل مذهب ، ووقع لبعضهم تخليط واشتباه ، ومن بينهم من كان جعلها موضوعا لبعض أدبياته ، وكنا أشرنا بالمناسبة لصنيع عبد الحفيظ الفاسي في "إعراب الترجمان"[1] .

أفرغ الفاسي مؤلَّفه في قالب أدبي فجعله مقامة ، واستهدف من ذلك أن يقبل عليه المتلقّون وتميل إليه نفوسهم ، قال : "وإنما أفرغته في هذا القالب الرفيع والأسلوب البديع لتحبّ النفس في تعاطيه لذلك المنوال وما له من دون الله من وال ، لا كغيره من المقامات التي لا

[1]- إزالة البوس -التقديم- : 7-10 .

أساس لما فيها من المعاني والإشارات .." . ويمكننا أن نميّز فيه بين ثلاثة أقسام :

أما أولها فأدبي محض ، اتّخذ له راويا خياليا كما هو الشأن في المقامات سمّاه "الحارث بن الفرج" ، يروي الأحداث ويعنعنها بأسانيده عن رواة غيره خياليين مثله ، كما اتّخذ لها شخوصا خيالية أيضا أسند لها الأحداث ، وقد سمّاهم جميعا بتسميات خاصة معبّرة : "ابن بسّام" و"المنذر" و"الوضاح" و"المواق بن حابس" و"الضحاك" و"الوسنان" و"شعيب" . وجعل الحدث فيه نزهة في بستان مزهر اجتمع فيه خلاّن طوال يومهم للأنس والمرح والأكل والشراب ، وتبادل الأحاديث والمذاكرة التي انتهت بهم إلى التساؤل عن شيء من أخبار زمانهم من دولة السلطان المولى عبد الرحمن ، وكان في ذلك تمهيد للانتقال لإيراد قصة فتنة الأوداية بفاس زمان السلطان المذكور .

وأما ثانيها فلسرد أحداث قصة تلك الفتنة ، وهو سرد لأحداث تاريخية ، وقعت بفاس خلال سنتي 1246 و1247هـ ، فهي أحداث واقعية غير متخيلة وشخوصها شخوص واقعية أيضا ، أرّخ لها المؤلِّف ، وعرض لها بتواريخها المحدّدة باليوم والشهر والسنة ،

وبأسماء الأماكن التي وقعت فيها داخل فاس وخارجها ، وهي كثيرة من بينها : "فاس" و"تلمسان" و"بلاد الغرب" و"مكناس/مكناسة" و"زرهون" و"فاس الجديد" و"باب الجديد" و"باب الجيسة" و"السوير" و"وادي المالح" و"واد النجا" و"عقبة المساجين" و"عين قادوس" ... وتحرّك الشخوص التي أسندت لها تلك الأحداث فيها ، وذكر أسمائها التي كانت تعرف بها ، وهي متعدّدة ، فبالإضافة إلى "السلطان" هناك ذكر لابن عمّه "محمد بن الطيب" الذي بايعه الثائرون ، وذكر لعدد من العمّال والقواد من الموالين للسلطان ومن الخارجين عليه ، ومن بينهم : "ابن الطاهر" و"الطاهر بن مسعود" و"الأوديني" و"الأحمر" و"ابن إدريس" ؛ وكذلك بتحرّك عدد من القبائل والجماعات التي كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بأحداث تلك الفتنة ، ومن بينها : "أهل فاس" و"أهل العدوة" و"أهل الأندلس" و"اللمطيون" و"رماة القلقليين" و"جيش العبيد" و"الأوداية" و"أولاد جامع" و"بنو مطير" و"كروان" "وشرفاء سجلماسة" .

وأما ثالث الأقسام فجعله للختم بالاعتذار عمّا قد يكون اعترى عمله من التقصير ، ثم بالاستغفار من الخطإ والزلل .

سلك الفاسي في مؤلّفه مسلك غيره من كتّاب المقامات فالتزم ما درجوا على التزامه من أسلوب مسجّع ، حلاّه بضروب من المحسّنات البديعية ولوّنه بأساليب البيان ، وأكثر فيه خاصّة من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وضمّنه عددا من الأشعار له ولغيره .

- العمل في تحقيقه :

لا نعرف الآن لـ"إعراب الترجمان" سوى مخطوطته الموجودة بالخزانة الحسنية بالرباط ضمن مجموع تحت رقم 13958 ، وهي في ستّ عشرة صفحة من الحجم المتوسط ، تقع فيه بين صفحتي 447 و 462 ، كتبت بخط مغربي مدمج مسند مجوهر ، عار عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ . وهذه المخطوطة هي التي كان تحدّث عنها العلاّمة محمد المنوني قبل انتقالها إلى الخزانة الحسنية وذكر أنها في خزانة خاصة[1] ؛ ولعلها هي عين المخطوطة التي كان وقف عليها من قبلُ المؤرّخ عبد السلام بن سودة ضمن محتويات خزانة خاصة بفاس

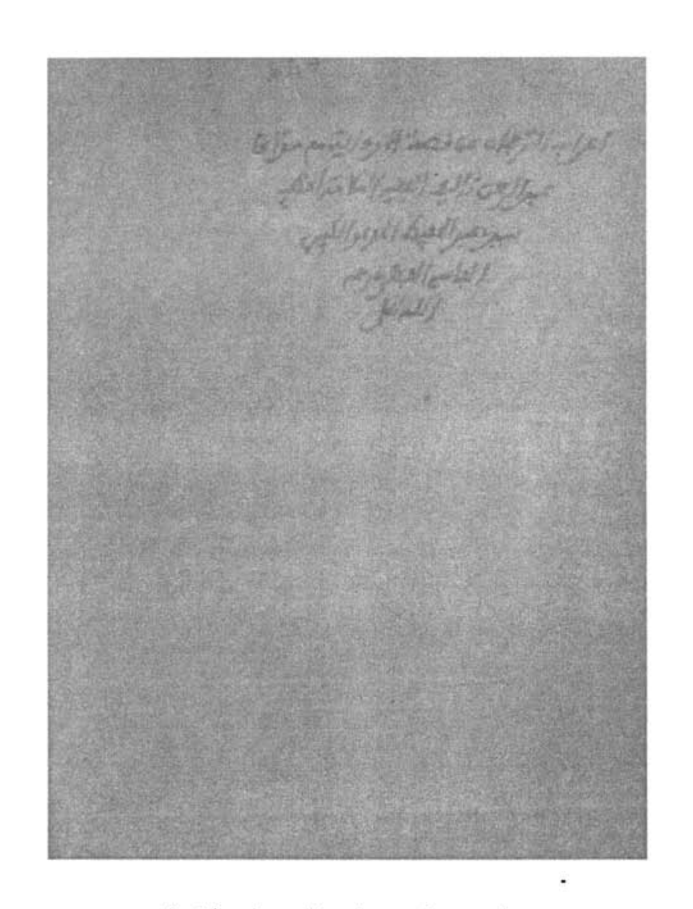
[1]- المصادر العربية : 100/2 .

وأورد ذكرها في دليله[1] . وهي نسخة يعتورها كثير من الهنّات اللغوية والإعرابية ؛ لا ندري هل هي من تهاون ناسخها في عمله فيها ، أم هي من مؤلّفها الذي قد يكون كتبها في بداية ممارسته للكتابة ، فإذا كان قد كتبها مباشرة بعد وقوع الأحداث التي أرّخ لها فإن سنّه آنذاك لم يكن يتجاوز أواسط عقده الثالث ، أو إنه كان كتبها بعد ذلك على عجل ولم يقم على مراجعة عمله فيها . وعلى كلّ فإنه قد استشعر شيئا من هنّاته فيها فسأل في ختامها الواقف عليها بأن يبادر إلى تصويبها .

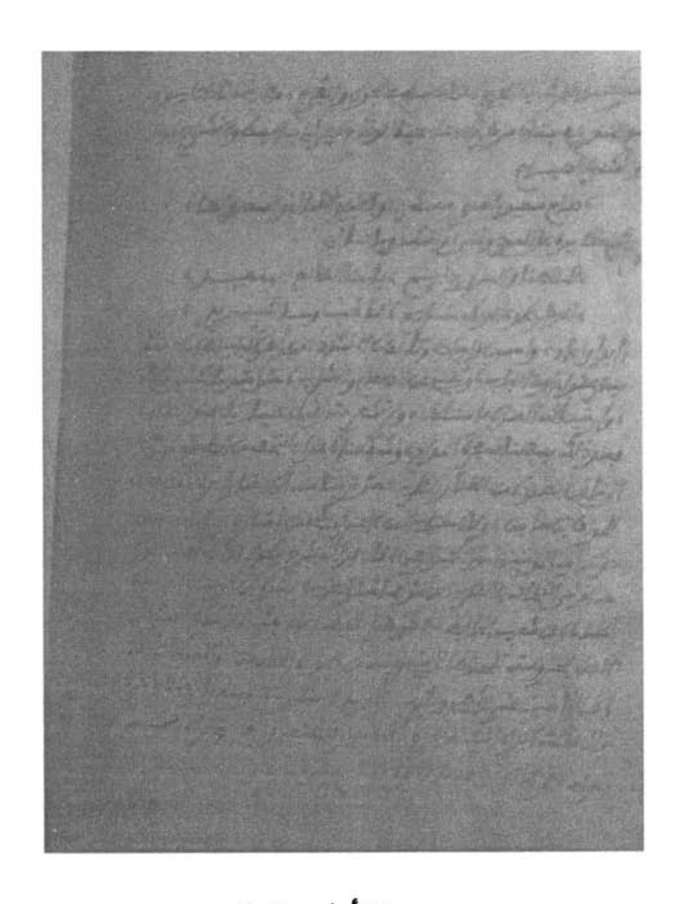
لقد كانت إذن هذه النسخة هي الأصل الوحيد المعتمد في تحقيق "إعراب الترجمان" ، فمنها نقلت المتن وأثبت أرقام صفحاتها ، واجتهدت ما وسعني في تخريج اقتباساته وشواهده ، وصوّبت ما بدا لي في حاجة إلى تصويب ، وعلّقت وشرحت ما وجدته يحتاج إلى شيء من ذلك .

آمل أن أكون قد وُفّقت لإخراج هذا المتن إخراجا حسنا يفيد المهتمّين . والله المستعان وبه التوفيق .

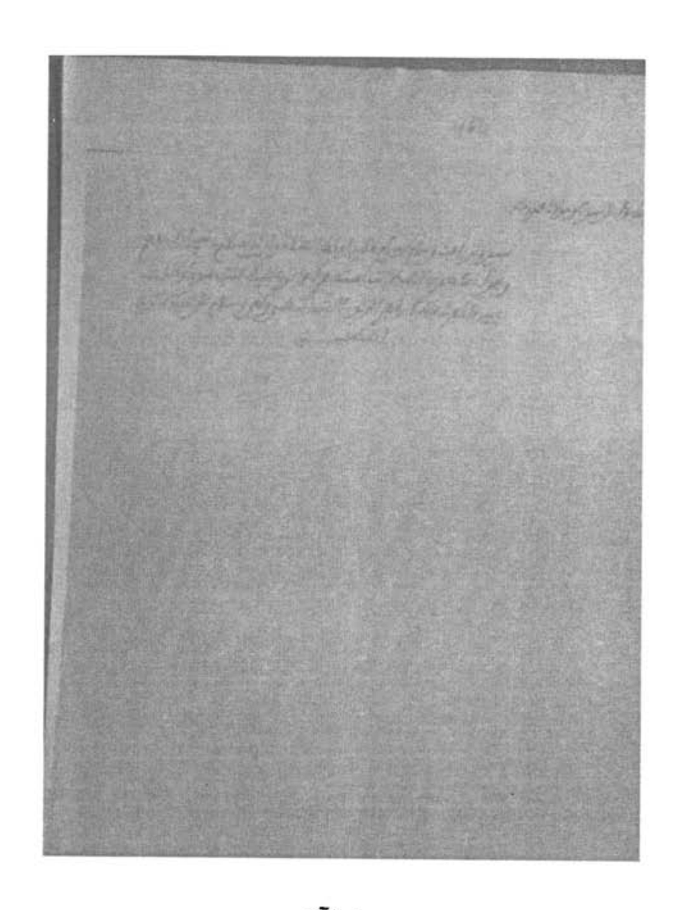
[1]- وهي الخزانة الفاسية التي كانت بأيدي أولاد الوزير عبد الله بن عبد السلام الفاسي ؛ الدليل : 128/1 .



صورة لصفحة عنوان المخطوطة المعتمدة



صورة لأول متنها



صورة لآخره

[447]/...

إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن

تأليف

الفقيه العلاّمة الخطيب سيدي عبد الحفيظ المدعو الكبير الفاسي الفهري

رحمه الله تعالى

/[448] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ونبيّنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

حدّثنا الحارث بن الفَرَج عن ابن بسّام في المجون والفُرَج ، قال : بينما أنا ذات يوم مع المنذر في بستان مزهر ، إذ دخل علينا الوضّاح يجرّ ثياب البسط والانشراح ، وأنشد في الصباح :

[طويل]

صَباحٌ سعيدٌ بالسُّرورِ مُبَشِّرٌ وباليُمنِ والإقْبالِ والسَّعْد والهَنا

ثم حطّ يده على العود وغنّى وأنشد وما تأنّى [1] :

[مخلع البسيط]

لكَ الهَنا والسُّرورُ دائِمْ يا أيّها الطالعُ السَّعيدُ

[1]- من الأشعار المستعملة في صنائع قدام الحجاز المشرقي من الموسيقى الأندلسية المغربية (انظرها في : مجموع الحايك : 236) .

الدّهْرُ طوعاً لديكَ خادِمْ كما تُحِبُّ وما تُريدُ

وأبدأ وأعاد وأحسن وأجاد وتأنّق في.الإنشاد ، من زهرة لباب اللُّباب مما يبهر عقول أولي الألباب ويغني عن الطعام والشراب ، حتى امتدّ بنا المجلس وطال وأرخينا له العنان فاستطال ، ولم نشعر حتى أقبل علينا الليل بجند الظلام فعند ذلك بسطنا سفرة المدام وشفّعناه بخوان التُّحف من الطعام ، ورجعنا إلى ما نحن بصدده من الغناء والطرب حتى خرجنا منه إلى أخبار العرب .

قال : فقلت للمواق بن حابس وكان معنا جالس ، أعندك شيء من أخبار هذا الزمان من دولة أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن؟ قال : فذلك شرح يطول ولكنّي أقول : حدّثني الضحّاك في الطرب عن مؤلّف أخبار العرب ، بسنده إلى الوسنان في النكث الحسان ، عن شعيب الحافظ في شواهد اللافظ ، قال : بعث إليّ إنسان مشرقيّ الأصل بمحروسة تلمسان ، لما بيني وبينه من المودّة السابقة والأخوة الصادقة ، قال : أخبرني بخبر يشفي ويطرب عمّا وقع في سنتي ستّ وسبع وأربعين[1] بالمغرب ، قال : فقلت لا بدّ أن أكتب له في أوراق مما رقّ

[1]- يريد: ومائتين وألف .

صنيعه وراق ، ولا بدّ أن أسمّيه : "إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن" ، /[449] وإنما أفرغته في هذا القالب الرفيع والأسلوب البديع ، لتحبّ النفس في تعاطيه لذلك المنوال وما له من دون الله من وال ، لا كغيره من المقامات التي لا أساس لما فيها من المعاني والإشارات . وكتبت إليه بعد السلام وما يُحتاج إليه من آكد الكلام :

ولقد علمنا أنكم مشتاقون لأخبار المغرب وعدمتم المفصح عنه والمُغْرب ، لبُعْد الوطن والمسافه وما ذاك إلا لاختلاف الشهوات لا خلافه ، وها أنا أفصح لكم عن ذلك بقول فصيح مما شاهدته أو سمعته بدليل صحيح ، إلا ما زاغ عن الخاطر ولم يكن بالوقت حاضر ، وذلك أن الإمام الذي حطّت لديه السيادة ركابها وأرخت عليه السعادة أطنابها ، وتنظّمت عقود مملكته أيّ انتظام وانقادت له سوابق الخلافة بغير زمام ، وتقلّد بسيف النصر والمِهاد وقام على ساق الجدّ والاجتهاد ، وشمّر عن ساعد السعد لنصرة الدين مقتفيا آثار الخلفاء الراشدين ، الأمير الذي ارتقى ذروة الجلال وتحلّى بأوصاف الكمال ، وتفرّد بالمحاسن الرائقة الجليلة الحِسان وجمع من الفضائل ما لم يأت على حصره لسان ، رفيع القدر والشّان أمير المؤمنين أبا زيد مولانا عبد الرحمن ، واصل الله

سعده ونظم عقده وأبّد حمْده ، ولا زالت الأماني تساعده وألسن التهاني بنيل السعادة تُناشده :

[مجتث]

أَعْظِمْ بِهِ مِن إمامٍ	بِهِ السَّعادَةُ تَسْعَدْ
حَطَّتْ لَدَيْهِ الأَماني	رِكابَ نَصْرٍ مُخَلَّدْ
قَدْ حلَّ في راحَتَيْهِ	جَميعُ مَن لَهُ يَجْحَدْ
ومَـــدَّهُ اللهُ مِنْـــهُ	بِفَضْلِهِ فَهْوَ أَوْحَدْ
أَكْرِمْ بِهِ مِن أَميرٍ	مِن بَيْتِ آلِ مُحَمّدْ
صلّى عَلَيْهِ الإلـــهُ	كَما لَـــهُ يُتَهَـجّدْ

وحيث أمدّه الله بإمداده وبسط له اليد في أرضه وبلاده ، وأذعنت /[450] له الرقاب وامتثل له الأمر والخطاب ، نزغ الشيطان نزغة في قلوب الأوداية فحسدوه على ما أوتي وقابلوه بالإذاية . ومبدأ ذلك أن كبيرهم ابن الطاهر[1] بعثه الأمير لتلمسان فأفشى فيها الجور والمناكر ، ولما رجع منها كما في علمكم أراد تأديبه وقبضه فلما شعر

[1]- ابن الطاهر : محمد بن الطاهر المغفري العقيلي ، والطاهر بن مسعود المغفري الحساني الآتي ذكره من بعده ، كانا من كبار قواد جيش الأوداية ، وكانا ضمن من وجههم السلطان إلى تلمسان ، وقد عاثا فيها فسادا ، وبعد رجوعهما إلى فاس قادا حركة العصيان ضده بها ، ثم بعد انتهاء حركة العصيان عفا عنهما وأمر ببعثهما إلى مراكش للخدمة مع خليفته عليها ابنه سيدي محمد ، غير أنهما لم يقلعا عن عصيانهما وحاولا اغتياله فقبض عليهما وسجنهما مدة ثم أمر بقتلهما في حدود سنة 1250هـ .
(الاستقصا ، للناصري : 32/9-41) .

بذلك نهض نهضه ، واستغاث بابن عمّه الطاهر بن مسعود على أن يعتقه ولو بنفسه يجود ، فلمّا أراد الله [تلك][1] الفتن والأهوال وذلك في التاسع عشر من شوّال ، من سنة ستّ وأربعين بعد اثنتي عشرة من المئين ، أمر الأمير بقبضه وسجنه فسرّحه ابن مسعود وذلك بإذنه ، وجُرِح من كان قابضا إيّاه حتى دخل بدمه على مولاه ، وخرج طُغاتهم للطرقات فنهبوا الأموال وتركوا بها الأموات ، ومن الغد رجعوا وأظهروا أنهم تابوا واستطاعوا ، فبَقِي يُساعفهم ويؤلّف قلوبهم بالعطايا الجزيلة وهم يَشُوسون[2] في كلّ قبيلة ، ويسبّونه ويشينونه ويُحَسِّنون غيره وفي الحديث : "ما سبّ قوم أميرهم إلا حُرموا خيره"[3] ، حتى وصل عيد ذي الحجّه وأتت القبائل كلها تريد طريقه ومحجّه ، وأراد أن يسافر مع تلك القبائل وعلموا أنه إذا سافر يُغني حديثهم عن أحاديث الأواخر والأوائل ، قالوا له : لا مناص ولا لك من أيدينا خلاص ، وراموا حتفه وقالوا : إن بقي فينا لا تلحقنا فيه كُلْفَه ، فلم يدخله منهم

---

[1]- في الأصل المعتمد : ذلك ؛ والمثبت هو المناسب ، وهو من وضعنا .

[2]- يظهرون الكبر والغضب .

[3]- رواه ابن عبد البر عن أبي إسحاق السبيعي (التمهيد ، لابن عبد البر : 287/21) .

جزع ولا خاف لكون عناية الله حارسة له وهو محفوف بالألطاف ، ولم يلتفت لذلك المقال وهو مُخاطَب من قال[1] :

[كامل]

وإذا العِنايَةُ أحْرَسَتْكَ عُيونُها ... نَمْ فالمَخاوِفُ كُلُّهُنَّ أمـــانُ

واصْطَدْ بِها العَنْقاءَ فَهْيَ حِبالَةٌ ... واقْتَدْ بِها الجَوْزاءَ فَهْيَ عِنانُ

وما زال لله حامدا وشاكر وهو المُخاطَب بقول الشاعر :

[طويل]

وكُنْ واثِقا بالله فالأَمْنُ حاصِلٌ ... وتُكْفى بِعَوْنِ اللهِ كُلَّ المَعاطِبِ

ثم بعث لجيش العبيد فقدم امتثالا لأمره السعيد ، فلمّا عاينوهم قالوا : الركاب /[451] لقتال تلك الجنود والأمير حينئذ بأبي الجلود ، فخرجوا إليهم ليقاتلوهم فنكصت خيولهم على أعقابها وإلى السور أدخلوهم ، ثم دخل العبيد على الأمير بإجلال وإعظام وتوقير ، وبقوا معه به سبعة أيام وهم بفاس الجديد كالأيامى والأيتام ، ثم جاءوا راغبين ولرضاه طالبين ، فقابلهم بالرضى وسامحهم فيما مضى ،

1- البيتان لأبي طاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة الإسكندراني (تـ 510هـ) ؛ أوردهما له ابن خلكان ضمن ترجمة القاضي الفاضل (وفيات الأعيان : 161/3) .

ونادى بالسفر والارتحال وخرج على أحسن صورة وأجمل حال ، وذلك يوم الإثنين الثالث والعشرين من ذي الحجّة الحرام وأسقط عنهم السفر لاشتغالهم بجمع صيف الحرام ، فلما وصل لمضيق عقبة المساجين وإذا هم بين يديه ومن خلفه كالمجانين ، فحاربوه بسلاحه وخيله وقتلوا من قضى نحبه وراحوا ببعض راحته وثقله ، وصرّحوا بالخروج عن الطاعة وشقّوا العصا وخالفوا الجماعة ، ونكثوا ذمّة الله والعهود "وقالوا : من أشدّ منا قوة"[1] في الوجود ، واستكبروا في الأرض وعتوا عتوّا كبيرا[2] فلم يوقّروا كبيرا ولم يلحظوا صغيرا .

فاستقرّ الأمير ببلد الغرب أحد عشر يوما ونذر للرحمن عنهم صوما[3] ، ثم ارتحل وسار وبدّل الدار بالدار ، حتى زار القطب مولانا إدريس بمدينة زرهون ويوم الثلاثاء عاشر المحرّم دخل مكناسة الزيتون ، واستقرّ ملكه بها وزُحرزِحت عنه الأحزان ويوم السبت الموالي له كما في علمكم خرج إلى الغزو في قبيلة گروان ، فظفر بهم وتمكّن ورجع من يومه وتوطّن ، وترك الرائجات تروج وأمواج الفتن

---

[1]- فصلت : 15 .

[2]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "لقد استكبروا في أنفسهم وعَتَوا عُتُوا كبيرا" (الفرقان : 21) .

[3]- ينظر فيه إلى قوله تعالى : "فقولي إنّي نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا" (مريم : 26) .

تموج ، وهو ينتظرهِم أن يكون فيهم رجل رشيد ليلهمهم ولو شاء لعجّل لهم التبديد ، ولم يزل يذكّرهم [ويعظهم فيلاقوا][1] قوله بالكبر ويجرّون عنه الذيل وهو مصرّ على الاستعداد لهم بالقوة وربط الخيل ، مصمّم على حِيَله وأشغاله معتكف على جمع آلاته وأمواله ، وفي الحكم : رُبَّ حيلة أبلغ فيَ النصرة من قبيلة .

وما زالوا في هذه المدّة يتحصّنون و[يعدّون][2] له عُدّة ، ويقطعون منه اليأس لأقلّ القبائل ويشحنون لهم بالكذب الكتب والرسائل ، /[452] ويخوّفون السبل على من يأتي بأخباره لينقطع طمع الناس من عينه وآثاره ، حتى طمع في رتبته جميع الطمّاعين الذين رفع لهم السُّجُف وإذا هم بالشماعين[3] ، وتسوّقوا الخميس[4] واشتبه لهم البعر بالدرّ بالدرّ النفيس ، فلمّا وصل المولد النبوي حضرت القبائل كلّها في ذلك العيد المولوي ، وحضر من القبائل ما يُقضى منه العجب وما يحصل به لأهله الطرب ، حتى تمنّى من لم يحضر أن لو حضر ومتّع منظره فيما ردّ الله به عليه من النصر حتى لم يفقد من الرعية إلا الكفرة الفجره :

[1]- في الأصل المعتمد : ويوعظهم فيلقوا ؛ والتصويب من وضعنا .
[2]- في الأصل المعتمد : ويعدوا ؛ والتصويب من وضعنا .
[3]- ينظر هنا إلى المثل العامي السائر بفاس : "الطمّاعين يباتوا في الشمّاعين" ؛ و"الشماعين" من أسواق أسواق مدينة فاس التجارية .
[4]- يطلق بفاس "الخميس" ويراد به سوق بيع البهائم الأسبوعي الذي يعقد كل يوم خميس .

[بسيط]

هِيَ المَواهِبُ لم أَشدُدْ لها زِيمِ فما يُقال لِفَضلِ اللهِ ذا بِكَمِ[1]

وعند ذلك تحقّق أنّ ما أصابه إنما هو سوط من الحقّ أدّبه به لغفلته عن ظلم الأوديني[2] وحزبه ، وعن تعنّت ابن إدريس[3] حتى تبيّن غشّه في محلّ يصان عن التدنيس ، وقد كان قبل قبضهما لا عن سخط خطير وإنما على سبيل التأديب والتعزير ، وفرح الناس لكل واحد منهما وحبسه ، وقد قال الشافعي : أظلم الناس لنفسه اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخفّ بالأشراف وتكبّر على ذوي المروءة والإنصاف ، وفي الحكم : من رُزِق من اليسار فوق ما يكفيه تنكّر لمعارفيه[4] .

---

[1]- هذان عجزان لبيتين صدراهما هما : "قل للمحاول شأوا في مدائحه" و"ولا تقل لي بماذا نلت جيّدها " ؛ وهما مما أضافته الأجيال اللاحقة إلى متن بردة الإمام البوصيري ، وليسا في أصلها كما في ديوانه (238-249) .

[2]- الأوديني : هو القائد الطيب بن محمد الأوديني أو الوديني البخاري ، كان واليا على فاس من قِبل المولى عبد الرحمن ؛ وهو الذي خرج للإيقاع بفلول جيش الأوداية العائدة من تلمسان بعد العيث فيها ؛ توفي سنة 1260 هـ أو قريب منها (الاستقصا : 33/9 ؛ وإتحاف المطالع : 178/1) .

[3]- ابن إدريس : هو محمد بن إدريس العمراوي ، وزير المولى عبد الرحمن وشاعر دولته . كان قد عزله في شوال سنة 1246هـ ثم سجنه إرضاء للأوداية في أثناء أحداث فتنتهم ؛ ذلك أنهم أوغروا صدره عليه وصرّحوا بأنه السبب فيما وقع بينهم وبينه من خلاف ، وأنهم لا يعودون للطاعة إلاّ بعد إبعاده والاقتصاص منه ، وكان قد سرّحه بعد مدّة غير أنه ما لبث أن قبض عليه وهو في طريقه إلى ضريح المولى عبد السلام فأعاده للسجن ولم يردّه للخدمة إلا في سنة 1251هـ ، واستمر فيها إلى حين وفاته سنة 1264 هـ . (الإتحاف ، لابن زيدان : 189/4-239) .

[4]- كذا لتلائم السجعة في "يكفيه" .

ثم كتب الأمير بالجهاد ونادى في كل بلاد ، أن هلمّوا لقتال الفرقة الباغية والشرذمة الطاغية ، فقد نصّ الأكابر على أن قتالهم آكد من قتال العدو الكافر ، ويكفي قول من جلّ علاه : "فَقَاتِلوا التّي تَبْغي حتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ"[1]، وذلك بعدما فرّق من العيد تلك الجموع وانقلب كل واحد لبلده يودّ الرجوع ، لأجل ما شاهد من بشائر التّمكين وعلامات التأييد والنصر المكين :

[مجتث]

أَوائــلُ الفَتْحِ فَتْــحٌ	**لِمَن لَهُ السعْدُ نــاصِرْ**[2]
قَدْ خُصَّ بالسَّعْدِ مَن قَدْ	**حازَ العُلا عَن أَكــابِرْ**

فعند ذلك قال الذين يريدون العلو في الأرض والفساد[3] : لو كانت له قدرة /[453] ما استقرّ به الوساد ، حيث فرّق ما كان بيده فكيف يعود من وصل إلى بلده ، وقد كان الأوداية قبل العيد ذهبوا لأكل أولاد جامع بعدما جمعت منهم المجامع ، وقالوا : بأكلهم [نستفتح][4] ولأموالهم

---

[1]- الحجرات : 9 .

[2]- يقصد أوائل سورة الفتح ، وهي قوله تعالى : "إنّا فتحنا لك فتحا مبيناً ، ليغفرَ لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ويُتِمّ نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصراً عزيزا" (الفتح : 1-3) .

[3]- أخذ عبارته من قوله تعالى : "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الارض ولا فسادا" (القصص : 83) .

[4]- في الأصل المعتمد : نستفتحوا ، والمثبت من وضعنا .

[نَقْنَح][1] ، وما ظنّوا أنهم [سيسأمون][2] فلما التقى الفئتان نكصت خيولهم على أعقابها وخيل الآخرين في طلابها ، حتى تمكّنوا منهم بنحو أربعمائة ما بين أحياء وأموات وحملوا للأمير كثيرا من رؤوسهم ولولا عفوهم عليهم لم يتركوا منهم إلا رغاء البنين والبنات ، فانكسرت بذلك شوكتهم وضعفت به قوّتهم .

وفي تلك الأيام بعث الإمام الهمام ، نجل عمّه سيدي محمد ابن الطيب[3] لناحية تازة وظنّ أنه يطلب نصره وإعزازه ، فلما اجتمعت عليه الجموع وأقبلت عليه قبائل تلك الربوع ، وخاف الأوداية من مصيبتين بعثوا له وسواسا من الإنس لا مثل له في الثقلين ، قيل وهو مولاي أحمد أبخان[4] ويقرب للصواب أنه الذي يدخل في الخياشيم كالدخان ، فأصبح بتازة وأمسى عند الأوداية وليس لأحد علم ولا دراية، ففرحوا به وقالوا : إن [ذلك][5] الركن قد هدم وهو لما لم يجد أهل فاس

---

[1]- في الأصل المعتمد : نقنحوا ، والمثبت من وضعنا ؛ وقنح الشارب : إذا تكاره على الشرب بعد الريّ .

[2]- في الأصل المعتمد : سيسأموا ، والمثبت من وضعنا .

[3]- محمد بن الطيب بن السلطان محمد الثالث ، ابن عم المولى عبد الرحمن ، كان ولاّه على فاس ثم على تامسنا ودكالة ثم على وجدة وتازا وما حولها ؛ بايعه الأوداية وأهل العدوة عند قيامهم على السلطان ، وألف فيه بعضهم تأليفا سمّاه "الغيث الصيّب في مفاخر سيدي محمد بن الطيب" . توفي سنة 1266هـ . (الإتحاف : 227/5 ؛ وإتحاف المطالع : 132/1 و 194) .

[4]- لم أقف له على ذكر .

[5]- في الأصل المعتمد : تلك ، والمثبت من وضعنا .

متّفقين عليه معهم ندم ، وأما ذوو الربط والحلّ من أهل فاس فإنهم كانوا على ثلاثة أنواع بل أجناس ، فأما أهل العدوة فكالأوداية في التصريح بالخلاف وبينهم مودّة وائتلاف ، وأما أهل الأندلس فضدّهم لأنهم على خدمة الأمير ومحبّته في قلب الكبير منهم والصغير ، سيّما أهل القلقليين وأما طائفة اللمطيين ، مع بعض الأفراد فبين ذلك مذبذبون وعلى جميع المذاهب مُذْهَبون ، يتّبعون أهل الأندلس في أقوالهم ويحضرون كأهل العدوة مع الأوداية في أفعالهم ، ثم أظهر أهل العدوة ثمرة الخلاف ليحصل لهم من الأوداية الانعطاف ، فنهبوا ما بحيّزهم للأمير من البهائم ، وما يحتاج إليه الحرث من الأثاث وصيّروه للتلف والشتات ، وحاربوا شرفاء سجلماسه الذين معهم لئلا يروا ماله ولا ناسه .

/[454] ولما استهل ربيع الثاني وطال الأمد وكسرت الأواني ، أقبلت من كل ناحية الجنود وتراكمت على الأمير بمكناسة الوفود ، وقام لله شاكرا ولأنعمه ذاكرا ، وصرف وجهة العزم بحسب الإمكان إلى محاربة أولي الزيغ والعصيان ، وحيث أراد الله تأييده بالنصر والظفر نادى في جيوشه وجنوده بالسفر ، لمحاربة أعدائه وذلك يوم الإثنين

ثامن عشر من الشهر بلا مين ، من سنة : "صبيانهم لأجلها شابوا"[1]
"ووجوه أعيانهم بالمنايا غابوا" .

ولما كانت أعلامه منشورة بسائس وخيوله تجول كالعزائس ، على نهب أموال بني مطير حتى نهبت منه القدر الخطير ، اجتمع الأوداية مع أهل العدوة بدار كدار الندوة ، واتّفق رأي الكبير منهم والصغير على أن يدخلوا في عصمة أمير ، وقالوا ما لنا أحسن من ابن الطيّب ليمن اسمه بدعواهم وجوده الصيّب ، فلما كان يوم الأربعاء صاحوا ضحوة [النهار][2] بنصره ومنهم من يجيب بالبارود و[الزغاريد][3] عند ذكره ، فخرج لهم رماة القلقليين قبل الزوال مع بعض آخرين ووقع بينهم القتال ، واعتصموا بالأوداية ومات بينهم ما يقرب لعشر من الأرواح غير المصابين بالرصاص والجراح ، من المبارزة بضرب الحديد وذلك بناحية باب الجديد ، وحينئذ سُدّت بينهم الأبواب وجعلوا فيما لا باب فيه سلل التراب ، ومن الغد وقع القتال مع خصوص الأوداية بباب الجيسة فوق الظنّ والنهاية ، ومن الغد اجتمع كل مذبذب

---

[1]- يريد سنة 1247 ، وهي ما تساويه بحساب الجمّل الجملة المحصورة ؛ وكذلك ما تساويه الجملة المحصورة بعدها .

[2]- في الأصل المعتمد : النهر ؛ والمثبت من وضعنا .

[3]- في الأصل المعتمد "الزغاريت" ، وكذلك تنطق بها العامة في لهجتهم الدارجة ، والمثبت من وضعنا .

خسيس بروضة القطب مولانا إدريس ، ومعهم بعض الطلبة الذين لا خبرة لهم بعلم ولا بفتاوي وهو طامع في الإمارة كما قال الراوي :

[طويل]

لَقَدْ هَزُلَتْ حتى بَدامِن هُزالها　　　كُلاها وحتّى سامَهاكُلُّ مُفْلِسِ

وقال يا معشر المحبّين لا تقاتلوا الأوداية فإنهم الأنصار وفي الحديث : "القاتل والمقتول في النار"[1] ، ثم ردّ عليه بعض الحاضرين فلم يرجع عمّا قال وجعل يسألهم هل أصابتكم شدّة ؟ وهل عندكم إذن من أميركم بالقتال ؟ فقال المذبذبون بل /[455] أميرنا قد فُقِد وانقطعت عنه الأخبار ولحقتنا الشِّدّة من الحصار وغلاء الأسعار ، فأفتنا في خلعه فإنك بالعلم خبير واجعل لنا أميرا كما لأهل العدوة أمير ، فقد كتبوا له البيعة وخطبوا به جمعة ، وتسابقوا إلى جميع المراتب وعيّنوا منهم الخليفة والقاضي والوزير والمحتسب والكاتب ، فسكت وما [أفتى][2] ولو نطق لضربه فتى ، ثم قام وقال لبعض المذبذبين من الحُضّار : انصرفوا معي إلى الدار ، ثم قال لهم : من يأمر بالقتال

---

[1]- من قوله عليه السلام فيما رواه البخاري في كتاب الإيمان : "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، فقلت : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه " .

[2]- في الأصل المعتمد : فتى ، والمثبت من وضعنا .

والخروج للبراز؟ فقالوا : الخطيب وشيعته والبيّاز[1] ، قال : وهل لهم من حميّة ؟ قالوا : للخطيب نعم وإنما للآخر بعض أهل الريف بتلك الناحية ، فقال : أُحِلّت لكم أمولهم وأُبيحت لكم رقابهم ، فاذهبوا إليهم وازجروهم ، وإلا فاقتلوهم فإنكم مفلحون والحقّ أنه معهم من "الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون"[2] ، ثم آمركم بما تفعلون وأدلّكم على ما تصنعون ، فذهبوا وراموا قتلهم فلم يقض أحد منهم إرْبا لأنهم وجدوا بين أيديهم سدّا[3] من بركة الأمير "فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا"[4] ، ومن ثَمّ بقي كل على حاله ولم يخرج أحد لأحد ولا لقتاله ، والأمير يبعث كتبه فتدلّ على إقباله وقربه في ارتحاله .

فلما كان يوم الإثنين وهو يجعل في كل مسافة يومين ، بعث كتابا ليقرأ على المنابر فقرئ وحضر جميع الناس ولا خصوصية للأكابر ، فأُلفي منهلا يروي ويمير بفصاحة يكلّ عنها منطق بني نمير ، ولقد نثر الدرر فيه من فيه ، وازدادت به الطائفة الصالحة ما كانت تنويه من التنويه ، بألفاظ رائقة ومعان فائقة ، وأحاديث نبوية وآيات من

[1]- البياز : هو الطيب بن محمد البيّاز الأنصاري ؛ كان عاملا لفاس مدّة إلى حين وفاته بها سنة 1259هـ ؛ وقد كان فقيها أديبا شاعرا . (إتحاف المطالع : 174/1)

[2]- الشعراء : 152 .

[3]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا.." (يس : 9)

[4]- الكهف : 97 .

محكم القرآن وهو في غاية الضبط والإتقان ، ولعمري إنه لباب الأدب وفصّه وعنوان الفصاحة ونصّه :

الحمد لله وما توفيقي إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الهدى وآله وصحبه ليوث الوغى وغيوث الندى ، معاشر الإسلام والهداة الأعلام ، كافّة سكان فاس الطيبة الأنفاس ، خصوصا الأشراف والعلماء والأخيار من الصلحاء والعرفاء ، سدّدكم الله وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، فحال هذه الفرقة الفاسدة /[456] ذات الآراء الكاسدة ، مما لا يكاد يخفى على ولدانكم فضلا عن كهولكم وشيوخكم ، وذلك أنهم خرجوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة ، وعميت عليهم [الأنباء][1] وضلّوا عن الاهتداء ، وركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء ، وليس فيهم رجل رشيد[2] ولا منيب لله وعمّا نهى عنه يحيد ، بَطِروا الصنائع والعوارف من تالد وطارف ، وقد عالجنا أمرهم وترقّبنا فَيْأَتهم ، فلم يزدهم حلمنا عليهم إلا طغيانا ولا ازدادوا بإنعامه إلا كُفْرانا ، فَسُحْقا

[1]- في الأصل المعتمد : الأنبياء ، والتصويب من وضعنا ، وينظر فيه إلى قوله تعالى : "فعَمِيَتْ عليهم الأنباء يومئذ فهُم لا يَتساءلون" (القصص : 66) .

[2]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "أليس منكم رجل رشيد" (هود : 78) .

لمردة تعرّضوا لسخط الله وبُعْدا لأحلاف عتوا في أرض الله ، وانهمكوا في هتك الحُرم كأنّ ذلك مما لا يخطّه عليهم قلم ، "استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون"[1] ، وكفى بالأوداية جهلا وطغيانا أن حُرِموا ما عليه الملّة المحمدية سرّا وإعلانا ، من انتظام الكلمة في سائر الآفاق على السمع والطاعة في المنشط والمكره من غير توقّف ولا شقاق ، من أهل بدو وحضر وخيام ومدر .

وحاضرتكم من قواعد المغرب الحائزة لمعالم الدين على لسان كل فصيح معرب ، مشهورة بالعلم والصلاح والسؤال عن أسباب الفُلْج والنجاح ، ففي العلماء إسوة فإنهم فيما اشتبه شفاء وقدوة ، وشتّان بين المحقّ والمبطل عند المؤمن الدَّيِّن المتأمّل ، و"الحق أبلج والباطل لجلج"[2] ، والله لا يصلح عمل المفسدين[3] ومعاذ الله أن يخون حملة الدين أو يحجم عن الصدع بالحق أعلام المسلمين ، فبين أظهركم من يوضح معالم الرشاد ممن يراقب الله ويخشى المعاد ، ولم يختلف أحد من الأئمّة

---

[1]- المجادلة : 19 .

[2]- من الأمثال العربية ، انظره في : مجمع الأمثال ، للميداني : 207/1 ؛ والمستقصى ، للزمخشري : 313/1 .

[3]- مقتبس من قوله تعالى : "إنّ الله لا يُصلح عمل المفسدين" (يونس : 81) .

وجهابذة الأمّة ، أن الخروج على الإمام من الكبائر وهذا أوضح من شمس الظهائر ، بحيث يُستغنى عن سرد الأدلة أو جلب الحجة والتكملة ، وقد وقع الاتفاق من أهل العلم على الإطلاق ، من لدن وقعة الحَرّة[1] أن الإمام لا يُخلع إلا بالكفر الصُراح فاتّئدوا وفّقكم الله بمدارك الخلف واتّباع السلف ، في الأقوال والأفعال وغير ذلك مْن سائر الأحوال ، قال تعالى : "يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ /[457] وأولي الامْرِ منكم"[2] ، وفي الحديث : "كلكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته"[3] ، وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت قال : "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4] فقال : "فيما أُخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بَواحا عندكم [من الله فيه][5] برهان"[6] ،

---

[1]- يريد حَرة واقم بالمدينة المنورة ، وهي ما يعرف اليوم بالحرّة الشرقية ، وفيها كانت الوقعة الشنيعة بأهل المدينة زمان يزيد بن معاوية بعد قيامهم عليه وإخراج عامله عليهم . (الروض المعطار ، للحميري : 192-193 ؛ وتاريخ ابن الوردي : 174/1)

[2]- النساء : 59 .

[3]- انظره في : الجامع الصغير ، للسيوطي : 158/2 .

[4]- رواه البخاري في كتاب الأحكام ؛ وتمامه :"... على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم".

[5]- في الأصل المعتمد : فيه من الله ، والمثبت من صحيح البخاري .

[6]- من حديث عبادة بن الصامت الآخر ؛ رواه البخاري في كتاب الفتن .

وفيه أيضا : "من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية"[1] ، إلى غير ذلك مما يطول ، ولما لم يفد في الفرقة الباغية والشرذمة الطاغية ، إلا إعمال الجد في محاربتهم والاعتماد على الله في مقاتلتهم ، نهضنا إليهم بالعساكر الإسلامية والقبائل القريبة والنائية ، ذوي القوة والنجدة والبأس والحدّة ، ممن رغب في الجهاد وادّخر إعماله ليوم المعاد ، و"لمثل هذا فليعمل العاملون"[2] "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"[3] .

ولا أخالكم [تفشلون][4] عن قتال البغاة أهل الفساد المتصدّين لإفساد ذات البين فيما بينكم على رؤوس الأشهاد ، قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم[5] ففي ذلك رضى بارئكم ، فأجمعوا أمركم على حربهم وقابلوهم بعزائم قوية بالله وأروا الله ما أنتم عليه من النهضة لله، ونصرة دينه ، وها نحن مخيّمون بالسوير ومنه إلى واد النجا أو العيون الزرق ومنه إلى وادي فاس إن شاء الله تعالى ، والسلام . وفي 24 من ربيع الثاني عام 1247 .

---

[1]- من حديث ابن عباس عن النبي عليه السلام : "قال : من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية" ؛ رواه البخاري في كتاب الفتن .

[2]- الصافات : 61 .

[3]- المطففين : 26 .

[4]- في الأصل المعتمد : تفشلوا ؛ والمثبت هو الصواب .

[5]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم " (التوبة : 14) .

ومن الغد وهو يوم الثلاثاء ليوم الخروج تاسع أقبلت الجنود من كل فجّ عميق وواسع ، بقوة تبهر العقول والأذهان كما قال نابغة ذبيان[1] :

[بسيط]

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صائمةٍ تَحْتَ العَجاجِ وأُخرى تَعْلِكُ اللُّجُما

فنظر الأوداية إلى أنفسهم وإذا هم جراد لا يُحْصَون عدّة وقالوا [إن لم][2] نظهر التجلّد والنجدة ، ونخرج لشتات تلك الجموع وإلا فلا رجوع ، فلما التقى الجمعان حمل عليهم بعض مقدمة جيش شامخ القدر الرفيع وإذا بخيلهم يقطر من الفم لعابها ومن الجنب دماؤها ومن أدبارها الرجيع ، من شدّة هروبها والخيل المنصورة /[458] في طلابها، حتى أدخلوهم الباب ومات بالازدحام ما لا حصر له منهم ولا حساب ، وقتلوا منهم الجمّ الغفير من النفوس وبعث الأمير إلى كثير من المدن الأحياء منهم والرؤوس ، فعند ذلك [سدّوا][3] عليهم الأبواب وطفقوا يضربون من الطاقات والنقاب ، ثم نزل بساحتهم وساء صباحهم وانقطع

1- ديوانه : 223 .
2- في الأصل المعتمد : الم ، والمثبت من وضعنا .
3- في الأصل المعتمد : شدّوا ، والمثبت من وضعنا .

صوتهم وصياحهم[1] ، وما طمع أحد بنزوله إلاّ بمكان بعيد حتى كُذِّب من أخبر بنزوله ثَمّ بل قالوا ولو كانت له شجاعة ابن الوليد[2] ، وخيّمت جنوده من دار الضياف إلى أعلى عين القادوس إلى وادي المالح ولم يستطع أحد منهم الخروج ولو الجاسوس ، ودارت بهم الخيول من كل باب وهم مختفون في الجُحر كالذئاب ، وفي جنده ما يقرب لخمسين من الألوف ما بين خيل ورماة وأصحاب السيوف ، وبقي أهل العدوة معهم ذلك اليوم كلّه ومن الغد أدخلتهم الخِلّه[3] ، فأراد أن يفتح كل ذي عقل لبيب فردّهم أكبرهم إلى الصباح وقال : "أليس الصبح بقريب"[4]؟ وهم طامعون في ظهور الأوداية عليه وقد خرجوا عشية يوم نزوله فلم يستطع أحد منهم القرب إليه ، وكيف يستطيعون قربه وتاريخ السنة "جيشه محفوف بحجب"[5] ؟ أم كيف يرومون ذلك وأفئدتهم قد حلّها الرعب ؟ فلما أصبح يوم الخميس وأيسوا من قرب الأوداية له كما أيس من الرحمة إبليس ، فتحوا الباب ورفعوا عن وجوههم الحجاب ، واجتمع منهم الكبير والصغير وساروا حتى أقبلوا على الأمير ، فصفح

---

[1]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين" (الصافات : 177) .
[2]- يريد خالد بن الوليد ، أحد الصحابة الشجعان المقاتلين .
[3]- الخِلة : المصادقة والإخاء .
[4]- هود : 81 .
[5]- هي بحساب الجمّل 1247 .

وعفا وتجاوز عمّن زلّ وهفا ، والأوداية إن خرجوا أسرعت إليهم الخيول بالقتال حتى تدخلهم الباب وربما دخلت عليهم إلى المحلّ التي تباع فيه الفواكه والأعناب ، ثم يرجعون للضرب من ثلم السور وبالمدافع من الأبراج والقصور ، واستدارت بهم المهارز والمدافع فلم يجدوا ناصرا ولا لما أصابهم دافع ، وهم ينتظرون من يغيثهم من البرابر ويخرجهم من المقابر ، ولم يزل الأمير يرجمهم بشهب [البمب][1] من البروج والمنازل والمواطين[2] العالية كمسترقي السمع من مردة الشياطين ، حتى ضاقت بهم الرحاب وعجزوا عن المجال /[459] واختلط منهم النساء بالرجال ، وطاشت عقولهم من أجل ما ينزل بهم من الصواعق النافذة وأي عقل يبقى لمن ينزل عليه عشر صواعق في لحظة واحدة ، كلاّ إنها تزعج من سمع لها صوت النهوض والصعود فضلا عمّن أقبلت لداره بالخراب وكسر الخشب والفرود[3] ، كيف وقد رمى عليهم ما يقرب من ثلاثمائة واحدة وبعد الصلح فضلت اثنتا عشرة مائة وإحدى عشرة زائدة ، فإن قنط أحد وخرج أسرعت إليه الأبطال

---

[1]- في الأصل المعتمد "البوم" ، والمثبت هو الصواب ، وهي أعجمية ، والضرب بالبمب هو القصف والقذف بالقنابل . (تكملة المعاجم العربية ، لدوزي : 443/1) .

[2]- يريد المواطن ، وقد مدّ الطاء لتلائم الشياطين .

[3]- فرود الخشب : ألواحه المفردة .

كالبزاة وقتلوه عن عجل وإن رجع رجع ينتظر الأجل ، وحفيت أقدامهم بالتعلّق بالسور وحسد الأحياء منهم الأموات ووَدّوا لو سكنوا القبور ، وباعوا ماشيتهم للموت والنهب بالنفاد ولم يجدوا سبيلا إلى الرشاد ، مع خراب الديار وغلاء الأسعار ، وقد كانوا أعدّوا للحصر عليهم جميع ما يحتاجون له واعتصموا به وبقوّتهم فلم [تغن][1] عنهم من الله شيئا[2] وأنزل عليهم الذلّه .

فلما كملت للأمير خمس وثلاثون ليلة في ذلك المكان شرع في بناء قصبته هنالك بقصد الاستيطان ، فلما عاينوا ذلك ضاقت بهم المسالك لعلمهم أنه لا يتحرّك من هنالك ، ووثب لهم الشيطان اللعين وقال إني برئ منكم إني أخاف الله رب العالمين[3] ، فاستيقظوا وعلموا أنهم باعوا الدنيا بالدِّين فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين[4] ، ورجع الصغار منهم على المستكبرين وقالوا لولا أنتم لكنّا مومنين[5] ، فعند ذلك

---

[1]- في الأصل المعتمد : يغن ، والمثبت هو الصواب ، وبه وردت في الآية المقتبس منها .
[2]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا " (التوبة : 25) .
[3]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين" (الحشر : 16) .
[4]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين" (البقرة : 15) .
[5]- يقتبس فيه من قوله تعالى : "..يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مومنين" (سبأ : 31) .

طلبوا الصلح وتابوا وإلى الله أسلموا وأنابوا ، بعدما نحروا الذبائح بباب أمير المومنين وعلى جميع الصالحين ، وبافتقار ومذلّة على جميع رؤساء قبائل المحلّة ، وتشبثوا بأذيالهم في عتق رقابهم والخروج عن أموالهم ، وأقبلوا بصبيانهم وشيوخهم بالمصاحف والألواح معلنين بالنصر والرجوع للصلاح ، وأقرّوا بانقطاع حيلهم مع طول المدّة ونتن الأموات لعدم القدرة على دفن من أدركته منهم الممات ، وتحقّقهم بأنه من موضعه لا يزول وذلك يوم السبت الموفّي أربعين يوما من حين النزول ، ولما دخلوا لحرم مولانا إدريس وانقلبت أحوالهم إلى الصلاح من التدنيس ، أذن أن يصعدوا إليه في مواكب الأشراف /[460] والمرابطين وذوي العلم والإنصاف ، فلما أقبلوا عليه "قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إن الله يجزي المتصدّقين"[1] قال هل علمتم ما فعلتم فكيف [تكونون][2] في توبتكم صادقين[3] ، "قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"[4]،

---

[1]- يوسف :88 .
[2]- في الأصل المعتمد : تكونوا ؛ والمثبت هو الصواب .
[3]- ينظر فيه إلى قوله تعالى : "قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون" (يوسف : 89) .
[4]- يوسف : 91-92 .

فسامحهم ومن كان موافقا لهم ، وما ذلك إلا من فرط حلمه وقبلهم وما ذلك إلا لفرط كرمه وجوده وعلمه ، ومن العجب أن لم يقتل في هذه المدة ولو نفسا ولا قطع لآدمي يدا ولا رأسا ، بل أسند الأمر إلى مولاه وقال : "ولو شاء ربك ما فعلوه"[1] ثم ردّ عليه فحمده على ما أولاه ، وكيف لا يحمد من ظفرت يداه بالمنى وخاطبته الورقاء بألحان الطرب والغنا[2] :

[بسيط]

أَبْشِرْ لقد نِلْتَ ما تَرجو وتَنْتَظِرُ وقد جَرى بالذي تَخْتارُهُ القَدَرُ
وساعَدَتْكَ مِنَ الأَيّامِ أَرْبَعَةٌ العِزُّ والنَّصْرُ والتَّمْكينُ والظَّفَرُ

بل قد حاز جميع ما أمّله وحينئذ فلا عتب إن قيل له :

[مجتث]

فَكُنْ إِمامَ المعالي لأَنْعُمِ الله شاكِرْ
لقد بَلَغْتَ الأَماني وحُزْتَ كلَّ المَفاخِرْ

---

[1]- الأنعام : 113 .
[2]- من الأشعار المستعملة في صنائع قدام الحجاز المشرقي من الموسيقى الأندلسية المغربية (انظرها في : مجموع الحائك : 237) .

عسكر الأوداية مع غيرهم لناحية مراكشة ، ليتأمّن ذلك المكان وبقي يستريح بمكناسة في أمان .

وهذا ما يجب به الإخبار وما تذهب به الأخبار فإن قصّرنا فالمؤمن يلتمس الأعذار ، ويقيل مسألة أخيه بعين الرضى فإنها عن العيوب كليلَة وعين السخط تضعّف من العيب قليله ، فإن وجدت خطأ من القلم أو اللسان فأصلحه خفية بلطافة وإحسان فإن الخطأ من شيم الإنسان .

وأستغفر الله من الخطإ والزلل بسيّد الاستغفار فإنه كريم غفّار ، أو بكفّارة المجلس وهو أولى بالمقام كما في حديث /[462] سيد ولد يافث وسام وحام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"[1] ، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

[1]- رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب كفارة المجلس .



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام البشرية والحضارية

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، لعبد الرحمن بن زيدان

ط.2 ، الدار البيضاء ، 1990

- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ، لعبد السلام بن سودة

تنسيق وتحقيق : د. محمد حجي

ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997

- إزالة البوس عن الموثق المحبوس ، لعبد السلام الزموري

تقديم وتحقيق : أحمد العراقي

ط.1 ، مطبعة آنفو برانت ، فاس ، 2002

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، لأحمد الناصري

دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 54-1956

- الأعلام ، لخير الدين الزركلي

ط.6 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، للعباس بن إبراهيم المراكشي

تحقيق : عبد الوهاب بن منصور

ط.2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 73-1983

- الاغتباط بتراجم أعلام الرباط ، لمحمد بوجندار

مخط. مصور بعناية د. عبد الكريم كريم

الرباط ، 1407هـ

- تاريخ عمر بن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر)

المطبعة الوهبية ، القاهرة ، 1285هـ

- تاريخ الوراقة المغربية ، لمحمد المنوني

ط.1 ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، 1991

- تكملة المعاجم العربية ، لرينهات دوزي

ترجمة : د. محمد سليم النعيمي

(ج1) منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1980

- التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد ، ليوسف بن عبد البر النمري

(ج21) تحقيق : سعيد أحمد أعراب

ط.1 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 1410هـ

- الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، لعبد الرحمن السيوطي

ط.1، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1373هـ

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، لعبد السلام بن سودة

ط.2 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 60-1965

- ديوان محمد بن سعيد البوصيري

تحقيق : محمد سيد كيلاني

ط.2 ، مكتبة الحلبي ، مصر ، 1393هـ

- ديوان النابغة الذبياني

جمع وتحقيق : محمد الطاهر بن عاشور

منشورات الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للتوزيع بالجزائر ، 1976

- الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد بن عبد المنعم الحميري

تحقيق : د. إحسان عباس

ط.2 ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، 1980

- سنن أبي داود سليمان الأزدي

راجعه وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد

دار الفكر ، بيروت

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد مخلوف

دار الكتاب العربي ، بيروت (مصورة عن ط.1، 1349هـ)

- الصحيح ، لمحمد بن إسماعيل البخاري

ط.1 ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، 1320هـ

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم ... والمسلسلات ، لعبد الحي الكتاني

باعتناء : د. إحسان عباس

ط.2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 82-1986

- الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي ،لعبد الرحمن الحريشي

ط.1 ، منشورات مؤسسة علال الفاسي ، الرباط ، 92-1997

- كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية ، لعمر عمور

ط.1 ، منشورات الخزانة الحسنية ، الرباط ، 2007

- مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط ، لمحمد دنية

ط.1 ، مطبعة الإتقان ، الرباط ، 1406هـ

- مجمع الأمثال ، لأحمد الميداني

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

ط.3 ، دار الفكر ، بيروت ، 1972

- مجموع الحايك التطواني

تحقيق : عبد اللطيف بنمنصور

ط.1 ، مطبعة الريف ، الرباط ، 1977

- المستقصى في أمثال العرب ، لمحمود الزمخشري

ط.2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1977

- المصادر العربية لتاريخ المغرب ، لمحمد المنوني

ط.1 ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، 83-1989

- المطبوعات الحجرية في المغرب ، لفوزي عبد الرزاق

ط.1 ، دار نشر المعرفة ، الرباط

- معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين ، لعبد الرحمن بن زيدان

دراسة وتحقيق : د. حسن الوزاني

ط.1 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 2009

- موسوعة أعلام المغرب

تنسيق وتحقيق : محمد حجي

ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996

- وفيات الأعيان وأنباء أعيان الزمان ، لأحمد بن خلكان

تحقيق : د. إحسان عباس

دار صادر ، بيروت ، 1994

لائحة بإصدارات المحقّق

*- في الدراسات :

- "الأدب المغربي من خلال تواصلاته" 2001
- " أمشاج بحوث مغربية" 2004
- "الشعر بالمغرب زمان العلويين : من 1171هـ إلى 1238هـ " 2008
- "في رحاب الزاوية العبدلاوية بفاس" 2009
- "في تاريخ ديوان الشعر المغربي" 2009
- "سيدي علي بو غالب في الوجدان الأدبي" 2011

*- في التحقيقات :

- "الديوان العام" لحمدون بن الحاج ؛ جزآن (تقديم وتحقيق) 1995
- "رسائل أحمد الغزّال الأدبية" (جمع وتحقيق وتقديم) 1999
- ديوان "النوافح الغالية في الأمداح السليمانية" لحمدون بن الحاج (دراسة وتحقيق) 2000
- "وفيات الصقلي" (تقديم وتحقيق) 2001
- ديوان "إزالة البوس عن الموثق المحبوس" لعبد السلام الزموري (تقديم وتحقيق) 2002
- "ديوان العربي المساري" (جمع وتحقيق وتقديم) 2003
- "نتائج الإحسان ومناهج الصلات الحسان" للمهدي الغزّال (تقديم وتحقيق) 2003
- "ديوان محمد بن طاهر الهواري" (جمع وتحقيق وتقديم) 2004
- "خبايا" ؛ جزء أول 2005
- "مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق" لعبد السلام القادري (تقديم وتحقيق) 2006
- "الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس" للوليد العراقي (تقديم وتحقيق) 2008

- "رسائل أبي الفيض حمدون بن الحاج السلمي" (جمع وتحقيق وتقديم) 2010

- "ثلاث رسائل في "قال" في سند الحديث" (جمع وتحقيق وتقديم) 2012

- "إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن" (تقديم وتحقيق) 2013

- "ديوان المهدي الغزّال" (جمع وتحقيق وتقديم) (قيد الطبع)

ولـه مما هو معدّ للطبع :

- "حبّات حصيد"

- "فهرس زيّان العراقي" (تقديم وتحقيق)

للاتصال به :

البريد العادي : ص. ب. 2844 – فاس

البريد الإلكتروني : E-mail :ahmediraqi@hotmail.fr

فهرس المحتويات

يعرض الفاسي في " إعراب الترجمان " لأحداث ثورة الأوداية بفاس خلال سنتي 1246 و1247هـ زمان السلطان العلوي المولى عبد الرحمن بن هشام .

وقد أفرغ مؤلفه في قالب أدبي فجعله مقامة ، واستهدف من ذلك أن يقبل عليه المتلقّون وتميل إليه نفوسهم ...

وسلك فيه مسلك غيره من كتاب المقامات فالتزم ما درجوا على التزامه من أسلوب مسجع ، حلّاه بضروب من المحسّنات البديعية ولوّنه بأساليب البيان ، وأكثر فيه خاصّة من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وضمّنه عددا من الأشعار له ولغيره .

مطبعة آنفو-برانت
Imp.Info-Print
Tél: 05.35.64.17.26 - Fès
Fax: 05.35.65.72.47